114317 ـ كيف نرد على من يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يزوره حيا ؟

السؤال

سؤال: في باكستان الصوفيون باسم الدين هم أساس الشر ، لقد ذهلت عندما سمعت من يقال إنه رجل علم وهو يقول : " تستطيعون لقاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة " ، أراد أن يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي حيا في شكله الحقيقي ... إلى وليهم ... إنهم لا يعتقدون فقط أن رسول صلى الله عليه وسلم مات ، ولكن أيضا يقولون إنه صلى الله عليه وسلم يزور أولياءهم أحياءً هذه الأيام أيضًا . كيف نرد عليهم ؟ وما حكمهم في الشرع ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أفضل ما يمكن أن ترد به البدعة ، أو يصحح به الخطأ هو السؤال عن دليله ، فمن سئل عن دليل القول الذي يقول به وتوجيهه أصيب في صميم فكره وعقله بضرورة البناء العلمي السليم ، بالدليل ووجه الاستدلال الصحيح والسلامة من المعارض ، وليس بالمجازفات والحكايات التي تروى هنا وهناك ، فالجميع يقر بأن هذا الأمر دين ، فينبغي أن يتفق الجميع أيضا كيف يُستدل لهذا الدين ، وكيف يحتج لأمور الشريعة .

وهؤلاء الذين يزعمون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة :

إما أن يقولوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم حي بروحه وجسده ، يخرج ، ويجيء ، ويتحرك في هذا الكون كما يشاء ، وأنه – في هذا الشأن – كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم .

أو يقولوا إنه صلى الله عليه وسلم قد مات وانتقل إلى حياة البرزخ الخاصة به صلى الله عليه وسلم ، ومن يراه إنما تنكشف له صورته في حياته البرزخية .

وفي كلا الادعائين هم مطالبون بالدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع .

وقد بحثنا في الأدلة التي يستدل بها بعضهم فلم نجد سوى ما يتناقلونه في بعض الكتب من وقوع ذلك للأولياء والصالحين ، وما يذكرونه من أسماء أشخاص وقع ذلك لهم .

ولا يخفى أن هذا الاستدلال لا يقوى على الاحتجاج به ؛ فالدليل يجب أن يكون آية أو حديثا أو إجماعا أو على الأقل قول صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس حكاية أو قصة ، خاصة في مسألة تتعلق بشخص النبي صلى

الله عليه وسلم وعلاقته بعالم الغيب .

أضف إلى ذلك أن جميع هذه القصص التي تروى تدخل عليها احتمالات كثيرة : احتمال عدم الثبوت ، واحتمال وقوع الوهم من صاحبها ، واحتمال وقوع ذلك مناما لا يقظة ، واحتمال تمثل الشيطان بصورة يلبس على الرائي أنها صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قد تكون هذه الرؤية تخيلات طرأت على عقل صاحبها حتى ظنها حقيقة .

فكيف إذا سقنا بعض الأدلة التي تنفي وقوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة على وجه الحقيقة وليس على وجه الخيال .

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قام في الناس خطيبا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

(أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ . وَقَالَ : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وَقَالَ : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) " انتهى. رواه البخاري (3667)

فإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم حبا له وتفانيا في طاعته قد أدركوا معنى موته صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك يعني ألا لقاء معه بعد ذلك في الدنيا ، فكيف يزعم هؤلاء أنهم يلقون النبي صلى الله عليه وسلم ويجالسونه؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية يظنون أنها كرامات رحمانية .

فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه ـ وقد مات من سنين كثيرة ـ ويقول : أنا فلان ، وربما قال له : نحن إذا وُضعنا في القبر خرجنا ، كما جرى للتونسي مع نعمان السلامي . والشياطين كثيرا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام .

وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول : أنا الشيخ فلان أو العالم فلان . وربما قالت : أنا أبو بكر وعمر. وربما أتى في اليقظة دون المنام وقال : أنا المسيح ، أنا موسى ، أنا محمد .

وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها ، وثَمَّ مَن يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم .

وثَمَّ شيوخٌ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا .

ومِن هؤلاء مَن يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه . ومِن هؤلاء مَن رأى في دائرة ذرى الكعبة صورة شيخ قال : إنه إبراهيم الخليل .

ومنهم مَن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الحجرة وكلمه . وجعلوا هذا من كراماته. ومنهم مَن يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه .

وبعضهم كان يحكي : أن ابن مندة كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابه .

وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته .

حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟ فهل في هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت وأجابه ؟

وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم ؟!

وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها ؟" انتهى.

"مجموع الفتاوى" (10/406-407)

ويقول أيضا رحمه الله :

" والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله ، أو جهلوا السنة ، أو رأوا وسمعوا أمورا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين وكانت من أفعال الشياطين ، كما أضل النصارى وأهل البدع بمثل ذلك . فهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم . وكذلك يتمسكون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية ، فيسمع ويرى أمورا فيظن أنه رحماني وإنما هو شيطاني ، ويدَعون البين الحق الذي لا إجمال فيه .

وكذلك لم يطمع الشيطان أن يتمثل في صورته ويغيث من استغاث به ، أو أن يحمل إليهم صوتا يشبه صوته ؛ لأن الذين رأوه علموا أن هذا شرك لا يحل .

ولهذا أيضا لم يطمع فيهم أن يقول أحد منهم لأصحابه : إذا كانت لكم حاجة فتعالوا إلى قبري واستغيثوا بي لا في محياه ولا في مماته ، كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين .

ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم ويقول : أنا من رجال الغيب ، أو من الأوتاد الأربعة ، أو السبعة ، أو الأربعين ، أو يقول له : أنت منهم . إذ كان هذا عندهم من الباطل الذي لا حقيقة له . ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم فيقول : أنا رسول الله ، أو يخاطبه عند القبر كما وقع لكثير ممن بعدهم عند قبره وقبر غيره وعند غير القبور .

كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب يرون بعد الموت من يعظمونه من شيوخهم ، فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم ، والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم ، والضُلاَّل من أهل القبلة يرون من يعظمونه : إما النبي صلى الله عليه وسلم ، وإما غيره من الأنبياء يقظة ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم ، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي صلى الله عليه وسلم وعانقه هو وصاحباه ، ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد . وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددا كثيرا . وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم .

وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين ، لكن كثيرا من الناس يكذب بهذا ، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية ، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ، ولم يعلم أنه من الشيطان ، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان ، ومَن كان أقل علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافا ظاهرا .

ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيدا فائدة في دينه ؛ بل يضله عن بعض ما كان يعرفه ، فإن هذا فعل الشياطين ، وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئا فالذي خسره من دينه أكثر .

ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة : إن الخضر أتاه ، ولا موسى ، ولا عيسى ، ولا أنه سمع رد النبي صلى الله عليه وسلم عليه .

وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر ولم يقل قط إنه يسمع الرد . وكذلك التابعون وتابعوهم . وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين .

وكذلك لم يكن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم ، لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم ، مع أنهم أخص الناس به صلى الله عليه وسلم .

حتى ابنته فاطمة رضي الله عنها لم يطمع الشيطان أن يقول لها : اذهبي إلى قبره فسليه هل يورث أم لا يورث .

كما أنهم أيضا لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم : اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا . ولا قال : اطلبوا منه أن يستنصر لكم ، ولا أن يستغفر ، كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقي لهم وأن يستنصر لهم .

فلم يطمع الشيطان فيهم بعد موته صلى الله عليه وسلم أن يطلبوا منه ذلك .

ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة .

وإنما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة ، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم " انتهى.

"مجموع الفتاوى" (27/390-393).

ويقول الآلوسي رحمه الله :

" ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، وسؤاله ، والأخذ عنه ، لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول .

وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من حين توفي عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء الله تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية ، وفيهم أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما ، وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب إليهم تلك الرؤية ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى في اليقظة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ عنه ما أخذ .

وكذا لم يبلغنا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره .

وقد صح عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال في بعض الأمور : ليتني كنت سألت رسول الله عليه الصلاة والسلام عنه .

ولم يصح عندنا أنه توسل إلى السؤال منه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الوفاة نظير ما يحكى عن بعض أرباب الأحوال .

وقد وقفتَ على اختلافهم في حكم الجد مع الإخوة ، فهل وقفتَ على أن أحدا منهم ظهر له الرسول فأرشده إلى ما هو الحق فيه ؟!

وقد بلغك ما عرا فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما جرى لها في أمر " فدك "، فهل بلغك أنه عليه الصلاة و السلام ظهر لها كما يظهر للصوفية فَهَوَّن حزنها وبين الحال لها ؟!

وقد سمعت بذهاب عائشة رضي الله تعالى عنها إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل ، فهل سمعت تعرضه لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه؟!

إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصي كثرة .

والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل بيته ، وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك .

وظهوره عند باب مسجد قباء كما يحكيه بعض الشيعة افتراء محض وبهت بحت .

وبالجملة: عدم ظهوره لأولئك الكرام ، وظهوره لمن بعدهم : مما يحتاج إلى توجيه َيقنع به ذوو الأفهام" انتهى.

"روح المعاني" (22/38-39)

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله :

" قد علم من الدين بالضرورة وبالأدلة الشرعية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوجد في كل مكان ، إنما يوجد جسمه في قبره فقط في المدينة المنورة , أما روحه ففي الرفيق الأعلى في الجنة , وقد دل على ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عند الموت : (اللهم في الرفيق الأعلى ثلاثا ثم توفي)

وقد أجمع علماء الإسلام من الصحابة ومن بعدهم أنه عليه الصلاة والسلام دفن في بيت عائشة رضي الله عنها المجاور لمسجده الشريف ، ولم يزل جسمه فيه إلى حين التاريخ .

أما روحه وأرواح بقية الأنبياء والمرسلين وأرواح المؤمنين فكلها في الجنة , لكنها على منازل في نعيمها ودرجاتها حسب ما خص الله به الجميع من العلم والإيمان , والصبر على حمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الحق .

أما ما يظنه بعض الصوفية من علمه بالغيب ، وحضوره صلى الله عليه وسلم لديهم في أوقات احتفالهم بالمولد وغيره ، فهو شيء باطل لا أساس له , وإنما قادهم إليه جهلهم بالقرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين العافية مما ابتلاهم به , كما نسأله سبحانه أن يهدينا وإياهم جميعا صراطه المستقيم إنه سميع مجيب " انتهى باختصار.

"مجموع فتاوى ابن باز" (3/381-383)

وقد سبق في موقعنا الجواب عن هذا الكلام وإيراد كثير من النقول عن أهل العلم ، وذلك في جواب السؤال رقم : (70364) ، فيرجى الاستفادة منه ، وانظر كذلك جواب السؤال رقم : (21524)

ولمن أراد التوسع في هذه المباحث والنقول ، يرجى مراجعة هذا الرابط في موقع صيد الفوائد :

http://www.saaid.net/feraq/sufyah/30.htm

والله أعلم.